العدد الثاني

جمادى الأول ١٤٢٧هـ يونيو ٢٠٠٦م

مكانة القدس بين التشكيك اليهودي والحق الإسلامي

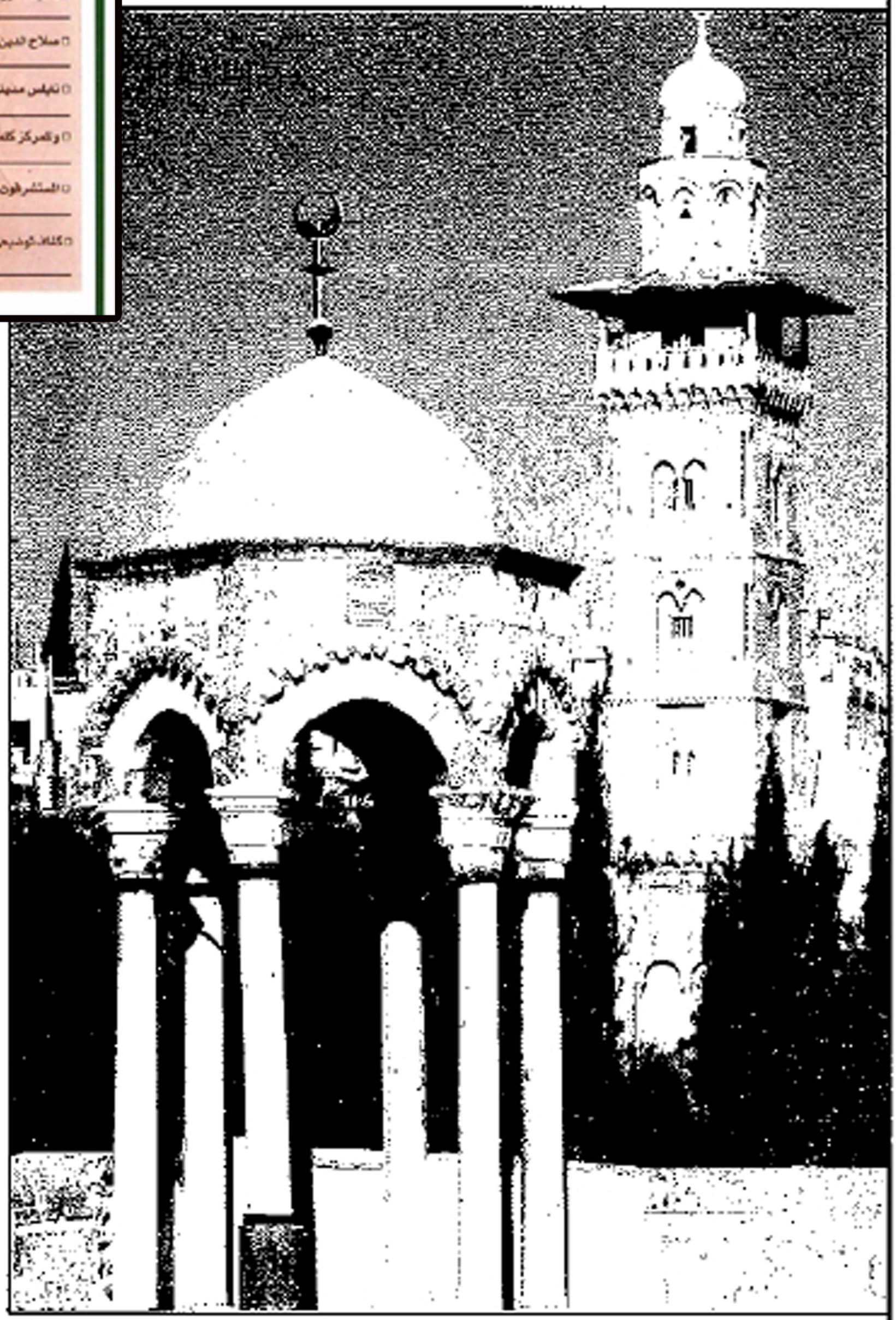

□ منظر عام لقبة الصخرة ويظهر في الظل مئذنة الغوانمة في الباحة الجنوبية الغربية

8 مكانة القدس بين التشكيك اليهودي والحق الاسلامي

□ إعداد: أسرة التحرير

القدس

« ليست مقدسة عند المسلمين» عبارة أطلقها العديد من المستشرقين من أمثال «جولد تسيهر» ، وكتّاب يهود من أمثال «إسحق حسون»- العضو في معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العبرية - في المقدمة التي وضعها في تحقيقه لكتاب «فضائل بيت المقدس» لأبي بكر الواسطي ، وكذلك البرفسور «أمنون كوهين» في كتابه « القدس ، دراسات في تاريخ المدينة» والذي يرأس مؤسسة للأبحاث والدراسات ، التي تقدم دراسات متخصصة - للقرّاء العرب والباحثين - لتاريخ القدس ! ! ، وكتابات «كستر "kister M.j" ، وهو من العاملين في معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة ، والوثائق التي يعدها ويوزعها بشكل واسع مؤسس «جامعة الدفاع اليهودي» ويدعي «دانيال ياسين» ، وبوهل F.Buhl الذي أسند إليه كتابة تاريخ القدس في الموسوعة الإسلامية وهو يهودي صهيوني ،

كتابات المستشرقين تحمل التشكيك في مكانة القدس في الشرع الإسلامي بطرق ملتوية

وكذلك جميع الموسوعات الغربية - من غير استثناء - التي تشكك في مكانة القدس ، وتتبنى وجهة نظر اليهود وتدافع عنها .

تحمل التشكيك في مكانة القدس في الشرع الإسلامي بطرق ملتوية

وتحمل كتاباتهم التشكيك في مكانة القدس في الشرع الإسلامي بطرق ملتوية ونصوص لا تحتمل كل ذلك بهدف التزييف والتشويه وتوهين حقائق الإسلام ومقدساته في نفوس المسلمين .

وخلاصة مزاعمهم:

●●● ● أن مكانة القدس في الإسلام ، كانت موضع خلاف بين المسلمين الأوائل .

● وإن ما روي من أحاديث عن قداسة القدس كانت موضع شك عند كثير من المسلمين .

● وإن عوامل سياسية ، داخلية وخارجية ، هي التي حفزت على إضفاء صفة القداسة على المدينة ، ومن هذه العوامل مثلاً حرص بني أمية على أن يجنبوا الناس الحج إلى مكة خلال ثورة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

وهذا غيض من فيض مما كتبت الأقلام اليهودية الخبيثة حول التشكيك في أفضلية القدس والمسجد الأقصى واهتمام المسلمين بهما ، ومكانتهما في الشرع الإسلامي .

جولد تسيهر، المستشرق اليهودي المجري والكاذبة:

يعد «جولد تسيهر» – المستشرق اليهودي المجري – المرجع الأساس للكثير ممن كتب من الباحثين اليهود حول القدس والمسجد الأقصى ، وهو من أوائل من شكك في الأحاديث التي جاءت بفضل المسجد الأقصى وبركته ، بل تعدى ذلك بقوله : إن القسم الأكبر من الحديث النبوي ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني !!

يعد جولد تسيهر المستشرق اليهودي المجري المرجع الأساس للكثير ممن كتب من الباحثين اليهود حول القدس والمسجد الأقصى

●●●

ودلل على ذلك بزعمه : أن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير ، وأنه بنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة !! وزعم أيضاً أن عبد الملك أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية ، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث كحديث : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» وزعم أن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس

مروية من طريق الزهري فقط !! .

مع أن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد وضع الأسس الكاملة لبنيان الإسلام الشامخ ، بما أنزل الله في كتابه ، وبما سنه عليه الصلاة والسلام من سنن وشرائع شاملة وافية ، حتى قال ﷺ قبيل وفاته : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي» ، وقال : «تركتكم على الحنيفية السمحة ليلها كنهارها» . ومن أواخر ما نزل على النبي ﷺ من كتاب الله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وذلك يعني كمال الإسلام وتمامه ؛ فما توفي رسول الله إلا وكان الإسلام ناضجاً تامّاً لا طفلاً يافعاً كما يدعي هذا المستشرق . ومع كثرة الفتوحات والأمم التي دخلت الإسلام إلا أنهم كانوا متحدين في العبادات والمعاملات ، ولو كان الحديث أو القسم الأكبر منه نتيجة للتطور الديني في القرنيين الأولين للزم حتماً ألا تتحد عبادة المسلم في شمال أفريقيا مع عبادة المسلم في جنوب الصين .

لم يمت رسول الله ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين وبلغ الرسالة وأدى الأمانة وليس كما زعم المستشرقون

●●●●

الرد على تلك المزاعم

ونلخص الرد على مزاعم «جولد تسيهر» المستشرق اليهودي بالآتي :

١- لا نعلم في الدنيا أحداً اتهم الزهري بأمانته وصدقه في الحديث قبل هذا المستشرق اليهودي المتعصب جولد تسيهر . وقد قال عنه الإمام أحمد : «الزهري أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً» وقال عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب : «هو الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام» .

2- لا شك أن بناءها ـ كما يزعم جولد تسيهر ـ لتكون بمثابة الكعبة يحج الناس إليها بدلاً من الكعبة ، حادث من أكبر الحوادث وأهمها في تاريخ الإسلام والمسلمين ، فلا يعقل أن يمر عليه هؤلاء المؤرخين مر الكرام ، وقد جرت عاداتهم أن يدونوا ما هو أقل من ذلك خطراً وأهمية.

3- إن نص الحادثة كما ساقها جولد تسيهر بيّن البطلان ، لأن بناء شيء ليحج الناس إليه كفر صريح ، فكيف يقدم عبد الملك عليه ، وهو الذي كان يلقب بـ «حمامة المسجد» لكثرة عبادته . . على أن خصومه طعنوا فيه بأشياء كثيرة ولم نجدهم اتهموه بالكفر ، ولا شنعوا عليه ببناء القبة ، ولو كان الأمر ثابتاً لجعلوها في أول ما يشهرونه به .

4- ولد الزهري سنة إحدى وخمسين أو ثمان ، ومقتل عبد الله بن الزبير كان سنة ثلاث وسبعين ، فيكون عمر الزهري حينذاك على الرواية الأولى اثنين وعشرين عاماً ، وعلى الثانية خمسة عشر عاماً ، فهل من المعقول أن يكون الزهري في تلك السن ذائع الصيت عند الأمة الإسلامية بحيث تتلقى منه بالقبول حديثاً موضوعاً يدعوها فيه للحج إلى القبة بدلاً عن الكعبة؟

كيف يقدم عبدالملك بن مروان على بناء شيء يحج إليه غير البيت وكان يلقب بحمامة المسجد لشدة عبادته؟!

5- إن نصوص التاريخ قاطعة بأن الزهري في عهد ابن الزبير لم يكن يعرف عبد الملك ولا رآه بعد ، فالذهبي يذكر لنا أن الزهري وفد لأول مرة على عبد الملك في حدود سنة ثمانين ، وابن عساكر روى أن ذلك كان سنة اثنتين وثمانين ، فمعرفة الزهري لعبد الملك لأول مرة إنما كانت بعد مقتل ابن الزبير ببضع سنوات ، وقد كان يومئذ شاباً بحيث امتحنه عبد الملك ، ثم نصحه أن يطلب العلم من دور الأنصار ، فكيف يصح الزعم بأن الزهري أجاب رغبة صديقه عبد الملك فوضع له حديث بيت المقدس ليحج الناس

●●●

إلى القبة في عهد ابن الزبير؟ .

6- إن حديث لاتشد الرحال . . . . إلخ . رواته كتب السنة كلها ، وهو مروي من طرق مختلفة غير طريق الزهري ، فقد أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري من غير طريق الزهري . ورواه مسلم من ثلاث طرق إحداها من طريق الزهري وثانيهما من طريق جرير عن ابن عمير عن قزعة عن أبي سعيد ، وثالثهما من طريق ابن وهب عن عبد الحميد عن عمران بن أبي أنس عن سلمان الأغر عن أبي هريرة . فالزهري لم ينفرد برواية هذا الحديث ، كما يزعم جولد تسيهر ، بل شاركه فيه غيره وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله عن حكم زيارة بيت المقدس والصلاة فيه فقال : ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لا تشد الرحال . . . . وهو في الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقد روي من طرق أخرى ، وهو حديث مستفيض متلقى بالقبول ، أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق ، واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه ، وكان ابن عمر يأتي إليه فيصلي .

الزهري لم ينفرد برواية حديث (لا تشد الرحال..) كما يزعم تسيهر، بل شاركه فيه غيره

7- إن هذا الحديث رواه الزهري عن شيخه سعيد بن المسيب ، ومن المعلوم أن سعيداً ما كان ليسكت عن الزهري لو أنه وضع هذا الحديث على لسانه إرضاء لأهواء الأمويين ، وهو الذي أوذي من قبلهم وضرب ، وقد توفي سعيد (سنة 93) من الهجرة أي بعد مقتل ابن الزبير بعشرين سنة ، فكيف سكت سعيد عن هذا كل هذه المدة ، وقد كان جبلاً شامخاً من جبال القوة في الحق لا يبالي في الله لومة لائم؟ .

●●● 8- لو فرضنا أن الزهري وضع هذا الحديث إرضاء لعبد الملك ، فلم لم

يصرح فيه بفضيلة قبة الصخرة وقد أراد عبد الملك أن يحج الناس إليها؟ كل ما في هذا الحديث وما صححوه من أحاديث بيت المقدس فضل الصلاة فيه وفضل زيارته غير مقيدة بوقت معين ، وهذا شيء أثبته القرآن جملة ، فأين هذا مما يريده عبد الملك من الحج إلى القبة بدلاً من الكعبة في أيام الحج؟ !

9- إن حديث لا تشد الرحال الذي صححه العلماء لا يرتبط بما ورد في فضائل بيت المقدس والصخرة أو غيرها من أحاديث مكذوبة ليس للزهري رواية فيها ، وقد نقدها العلماء جميعاً حتى قالوا : كل حديث في الصخرة فهو كذب .

10- أغلب المؤرخين الثقات لم يختلفوا في أن الذي بنى القبة «قبة الصخرة» هو الوليد بن عبدالملك ، هكذا ذكر ابن عساكر والطبري وابن الأثير وابن خلدون وابن كثير وغيرهم ، ولم نجدهم ذكروا ولو رواية واحدة نسبة بنائها إلى عبد الملك .

أقوال وكتابات الباحثين اليهود أمثال .جولد تسيهر.:

أغلب المؤرخين الثقات لم يختلفوا في أن الذي بنى القبة «قبة الصخرة» هو الوليد ابن عبدالملك

●●●

لا تكاد تجد بحثاً وكتاباً أو تحقيقاً وإصداراً للباحثين اليهود إلا ويؤكد أن قدسية مدينة القدس يشوبها الكثير من الشكوك ، فلم يكتف اليهود بسلب القدس واحتلال أرض فلسطين بالقوة والسلاح ، بل ما زالت محاولات اليهود مستمرة لسلب القدس من أصحابها الشرعيين تراثاً وتاريخاً عبر كتاباتهم ودراساتهم ونشراتهم ، والتي حاولوا أن يتصنعوا المنهج العلمي والسمة الموضوعية فيما يكتبون ، وهم في الحقيقة ضربوا بعرض الحائط كل قواعد البحث العلمي ، ليعيدوا صياغة تاريخ القدس بأسلوب خبيث

أدخلوا فيه الكثير من الطعن والدس ليخلصوا في النهاية بأن القدس ليست مقدسة في الشرع الإسلامي ، ونذكر منهم :

١- «ياسين دانيال» مؤسس جامعة الدفاع اليهودي:

جاء في إصدار لوزارة السياحة اليهودية على شكل كتيب ليتداول من قبل السائحين والذي أيده مؤسس جامعة الدفاع اليهودي ويدعى « ياسين دانيال » :

* إن اهتمام المسلمين بالقدس جاء ثانوياً ولهذا فإن الإسلام يعطيها المرتبة الثالثة بعد مكة والمدينة .

* وإن تخلي النبي ﷺ عنها كقبلة أولى يعتبر إهمالاً لها وعدم أهميتها في الإسلام .

* وإن القرآن لم يعرها أي نوع من الأهمية خاصة وأنه لم يذكرها باسمها ولو مرة واحدة .

* القدس لا تذكر على الإطلاق في صلوات المسلمين .

* ولم ترتبط ارتباطاً مباشراً بالأحداث التي جرت في حياة النبي ﷺ .

* ولم تتحول في يوم من الأيام إلى مقر ثقافي أو عاصمة إسلامية .

والأمويون هم الذين أعادوا تفسير القرآن ، لإيجاد متسع للقدس عندما بنوا مسجداً فوق الهيكل وأسموه المسجد الأقصى وأعطوها دوراً بارزاً في حياة الرسول محمد - ﷺ - بأثر رجعي - وذلك لتقليل أهمية الجزيرة

الباحثون اليهود أدخلوا الكثير من الطعن والدس ليخلصوا إلى أن القدس ليست مقدسة في الشرع الإسلامي

●●●

العربية بعد الخلاف مع عبد الله بن الزبير في مكة .

2- «كستر kister » عضو معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العبرية:

وهذا «كستر» وهو من أصول بلجيكية ، ويعمل في معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة كتب الآتي :

* إن هناك جدلاً بين المسلمين حول أفضلية المسجد الأقصى .

* وأنه كانت قبل القرن الثاني الهجري ، اتجاهات لتأكيد قدسية مكة والمدينة والتقليل من قدسية القدس .

* والتحول بالنسبة إلى قداسة القدس إنما قصد منه أن لا تكون محجاً للناس مثل مكة ، لأن بعض المسلمين كادوا يساوون بين المسجد الحرام في مكة والمسجد الأقصى في القدس .

« كستر» يزعم كذبا وزورا أن هنالك جدلا بين المسلمين حول أفضلية المسجد الأقصى

3- "إسحق حسون " عضو معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية :

يقول إسحاق حسون « Ishaq Hasson » العضو في معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العربية - في المقدمة التي وضعها لكتاب فضائل البيت المقدس لأبي بكر محمد بن أحمد الواسطي والذي قامت بطباعته الجامعة العبرية باللغة العربية ما يأتي :

●●●

* كانت ثمة اتجاهات لتعظيم حرمة مكة والمدينة ، والتقليل من حرمة القدس .

* علماء المسلمين لم يتفقوا جميعا على أن المسجد الأقصى وهو مسجد القدس . إذ رأى بعضهم أنه مسجد في السماء يقع مباشرة فوق القدس أو مكة ويستعين في هذا الصدد بأقوال كاتب فرنسي هو ديمومين .

* عبد الملك بن مروان ببناته الصخرة إنما كان يسعى وراء تحويل الحج من مكة إلى القدس .

* معاوية بويع بالخلافة في القدس ، وإنه هو الذي أسمى القدس وبلاد الشام الأرض المقدسة .

* الأحاديث الخاصة بفضائل القدس قد ازدهرت في هذه الفترة وإن هذه الأحاديث تستند على أقوال أهل الكتاب ، سواء ما كان منها نصاً مروياً أم أسطورة ، كما أن زيارة أماكن خاصة في القدس ، ابتدأت في هذه الفترة .

ويزعمون أن عبد الملك ابن مروان ببنائه الصخرة إنما كان يسعى وراء تحويل الحج من مكة إلى القدس!!

* ثم جنح إلى فرضية غريبة ، مؤداها أنه في سنة 407 هـ وقعت قبة الصخرة ، وأن خطيب المسجد قد جمع على أثر ذلك الأحاديث والروايات المتعلقة بفضائل القدس من أجل جمع الأموال ، بغية إعادة بناء المسجد وترميمه ، وأنه قد تشجع على الربط بين القدس وكل من مكة والمدينة ، بسبب ما وقع للركن اليماني في الكعبة من تصدع وما أصاب أحد الأسوار الخارجية لقبر الرسول ﷺ من سقوط تلك السنة .

4- «**شلومو دوف غويتاين**» - **معهد الدراسات العليا جامعة برنستون :**

●●●

وشلومو دوف غويتاين – بروفسور يهودي في معهد الدراسات العليا جامعة برنستون – لخص ما توصل إليه بالآتي :

* بقيت القدس مدينة جانبية لا تأثير يذكر لها .

* القدس لم تلعب في الإسلام قط دور مركز ثقافي .

* شعر المسلمون جيداً أنها كانت في الأساس مكاناً مقدساً لليهود والمسيحيين .

5 - "**الموسوعة الإسلامية**" : Encyclopacdia of Islam "

وجاء في « الموسوعة الإسلامية Encyclopacdia of Islam» تحت كلمة : AL-Kuds والتي كتبها اليهودي « بوهل Buhl F.» ما يأتي :

* ربما كان الرسول ﷺ يظن أن المسجد الأقصى مكان في السماء ! ليشكك في أن المسجد الأقصى المذكور في الآية الأولى من سورة «الإسراء» ، هو مكان في القدس وبالتالي فهو يحاول أن ينفي عن القدس سبباً من أهم أسباب نظرة القداسة الإسلامية إليها .

* عبد الملك بن مروان بنى قبة الصخرة من أجل أن يطاف حولها ، ولإضفاء سمة القداسة على المدينة ، ولكي تضاهي القدس مكة في شرعية الحج إليها .

ومن مغالطاتهم الفظيعة الزعم بأن القدس مدينة جانبية لا تأثير لها

أقوال المنصفين من اليهود

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك ممن كتب لدحض أكذوبة أن القدس ليست مقدسة عند المسلمين ، نذكر منهم :

●●●

- **« س. د. جوتين - S.D. Goitein» أستاذ في جامعة برنستون :**

لم يستطع أن يتقبل كثيراً من هذه الفرضيات والتصورات فألف كتاباً عام

1966 بعنوان : «دراسات في التاريخ الإسلامي والمؤسسات الإسلامية ، Studies in Islamic History and Institutions نفي فيه أن يكون عبد الملك بن مروان قد حاول ببنائه قبة الصخرة أن يحول الحج من الكعبة إلى القدس ، وذلك انطلاقاً من كون عبد الملك إنساناً مسلماً ملتزماً بشريعة الإسلام .

ونفى أن يكون استعمال مصطلح « الأرض المقدسة » للدلالة على فلسطين استعمالاً أموياً حركته دوافع سياسية ، وأورد الآية القرآنية التي استعملت فيها هذه العبارة للدلالة على فلسطين – الآية ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة :21) ، وقال إن عروة بن الزبير قد استعمل في وقت مبكر عبارة «الأرض المقدسة» للدلالة على فلسطين وأن فلسطين قد قدست لأنها كانت أرض النبوات ومنزل الوحي ، وأن الرسول ﷺ قد حث أصحابه على السكن في بلاد الشام ، وأن تحول بلاد الشام فيما بعد إلى أرض جهاد طيلة أحقاب متعاقبة ضد البيزنطيين ، كان سبباً آخر في إضفاء القدسية عليها باعتبارها أرض مرابطة وجهاد .

الكتابات الإسلامية الأولى منذ القرن الأول تحوي قدرا كبيرا عن قداسة فلسطين والقدس وقبة الصخرة

* وفي نهاية دراسته هذه عن قدسية القدس وفلسطين ، يخلص إلى أن الكتابات الإسلامية الأولى تحتوي قدراً كبيراً – منذ القرن الأول – عن قداسة فلسطين والقدس وقبة الصخرة ، وأنه لا يمكن القبول بأن هذه الأقوال كانت نتيجة للنزاع بين الأمويين وابن الزبير ، وأنه لا أساس للقول بأن الصخرة قد بنيت لتحويل الحج إلى القدس وأنه قد آن الأوان لاختفاء هذه الأسطورة من الكتب ، وأن معارضة علماء المسلمين للإفراط في تقديس القدس وفلسطين وقبة الصخرة لم تكن ذات علاقة بأشياء سياسية

طارئة ، بل كانت نابعة من حوافز دينية أصيلة .

وقبل ستة عشر عاماً من تأليف جوتين هذا الكتاب كان قد نشر مقالاً في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية بعنوان «الخلفية التاريخية لبناء قبة الصخرة The Historical Background of Erection of the Dome of the Rock » أورد فيها قسماً كبيراً مما ورد في كتابه اللاحق ووصف فيه روايتي اليعقوبي وابن البطريق عن دوافع عبد الملك لبناء قبة الصخرة ، بأنه قد قصد منهما تشويه سمعة الأمويين .

● **أما تشارلز ماثيوز الأمريكي**، فإنه لم يحاول أن ينفي صفة القداسة عند المسلمين لمدينة القدس في أي وقت من الأوقات أو أن يوحي بأن الأمويين هم الذين أضفوا عليها مكانة قداسة خاصة ، ويقول إنه لم يكن بالإمكان تحويل الحج عن مكة وعن زيارة المدينة ، غير أن الكثيرين من المؤمنين ظلوا ينجذبون نحو فلسطين لزيارة أقل شأناً من الحج ثم يضيف أن تعلق المسلمين بفلسطين قد ازداد بعد أن احتلها الصليبيون مؤقتاً ، وذلك بسبب جهاد المسلمين من أجل استعادتها وأن ردة الفعل الإسلامية لحملات الصليبيين ، كانت عاملاً في تطور أدب الفضائل الخاص بالقدس وفلسطين

تعلق المسلمين بفلسطين قد ازداد بعد أن احتلها الصليبيون بسبب الجهاد لاستعادتها

● **وكتبت حواء لاتسروس يافه** : برفسور في الجامعة العبرية في القدس تحت عنوان «قدسية القدس في الإسلام» :

●●●

إن الأسباب التي دفعت عبد الملك إلى إقامة قبة الصخرة ليست في الواقع سياسية وإنما دينية بحتة ، يمكن وضعها في إطارين :

أ – تعاظم الهالة القدسية التي أحاطت بفلسطين عامة وبالقدس خاصة بشكل خاص منذ بداية الإسلام .

ب– محاولة لمنافسة الكنائس المسيحية الفخمة التي كان من الممكن أن يعتبرها البعض بمثابة الحط من عظمة الإسلام . فجاءت قبة الصخرة لتفوق الفن المعماري المسيحي .

لذلك علينا أن نقبل الحقيقة التي تقول أن القدس لها حرمة ومكانة خاصة في الإسلام .

حقائقنا الإسلامية عن المسجد الأقصى

لتحويل القبلة بعد الهجرة قصة مع اليهود ، حيث فرحوا بدايةً باستقبال النبي ﷺ لقبلتهم ورأوا في ذلك مدخلاً للحديث عنه ﷺ ، حيث يزعمون أنه قلدهم في القبلة وسار على نهجهم مع أنه ﷺ ينفذ ما أمره به ربه عز وجل ، وحيث أوحي إليه باستقبال القبلة نفذ ذلك بفرح وسرور ، ولكن اليهود ظنوا أن ذلك لهوى في نفسه فحاولوا خداعه فقالوا : يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه .

لتحويل القبلة بعد الهجرة قصة مع اليهود حيث ظنوا أن ذلك لهوى في نفس الرسول ﷺ ولكنه أمر الله وحده عز وجل

● ولنا عبرة في كتاب الله تعالى حيث أخبر أنه سيعترض السفهاء من الناس على تغيير القبلة وتحويلها من استقبال بيت المقدس إلى استقبال المسجد الحرام ، وأخبر بذلك قبل أن يأمر نبيه محمد ﷺ باستقبال المسجد الحرام في قوله سبحانه وتعالى : ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى

●●●

صراط مستقيم﴾ (البقرة : 142) ؛ فوصف من وقع منهم هذا القول بالسفه لأنهم اعترضوا على حكم الله وشرعه ، وكان في قوله السفهاء ما يغني عن رد قولهم وعدم المبالاة بهم ولكنه سبحانه مع هذا لم يترك هذه الشبهة حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض فقال تعالى : ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي قال يا محمد لهم مجيباً لله المشرق والمغرب وكل الجهات ملك لله .

● فاخبرنا الله تبارك وتعالى بذلك لكي تبقى رؤوسنا مرفوعة وعرّفنا بمن يشككون في معتقداتنا حتى لا نهون في مجالس الصراع وحتى لا نذل في حربنا معهم ، وقد أخبرنا ابن عباس بهذه الحادثة ، ليظهر لنا اليهود على حقيقتهم بعد أن مر على هجرة المصطفى ﷺ ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً .

● وما أشبه اليوم بالبارحة فهذه الشبه التي يطلقها اليهود وأعوانهم أرادوا منها التشكيك والتوهين والتسخيف ولكن أنى لهم هذا وهم يعلمون الحق ويكتمونه وهم يعلمون أن سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية ، لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب ، فانتقلت القيادة الروحية من أمة ملأت تاريخها الغدر والخيانة والإثم والعدوان إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات .

الشبه التي يطلقها اليهود وأعوانهم يريدون بها التشكيك والتوهين من مكانة الأقصى والقدس وما أشبه الليلة بالبارحة

● أما فيما يتعلق بمنزلة القداسة التي أُنزلتها مدينة القدس عند المسلمين في أبكر عهود الإسلام ، فإن اتخاذ هذه المدينة قبلة للمسلمين مدة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً بعد هجرة المسلمين إلى المدينة يقوم دليلاً لا ينقض على مكانتها لدى المسلمين منذ زمن الرسول ﷺ .

●●●

● ومما يتصل بهذه الحقبة المبكرة جداً من تاريخ الإسلام بالنسبة إلى مكانة القدس عند المسلمين ، حادث الإسراء برسول الإسلام صلوات الله عليه من مكة إلى القدس ، ثم معراجه من القدس إلى السماء ، وقد وثقت هذه الرحلة العجيبة توثيقاً خالداً في الآية الكريمة :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء :1) .

● فالمسجد الأقصى في القدس ، قد أسري بالنبي إليه ، والأرض التي ضمت الأقصى وامتدت حولها ، هي أرض مباركة في الإسلام بحكم نص القرآن الكريم ، منذ أن تنزلت آية الإسراء .

المسجد الأقصى وما حوله أرض مباركة بنص القرآن الكريم والقول بأنه في السماء قول مردود

● أما ما ورد من أقوال سابقة ، من أن المسجد الأقصى لم يكن في القدس ، وإنما هو مكان تصوره الرسول في السماء ، فقول لم يأخذ به أو يتقبله أو يقله أحد من المسلمين ، منذ أن أنزلت آية الإسراء وإلى يومنا هذا ، وما فسرت به الآية القرآنية .

● على أن عدداً من مفسري القرآن الكريم ، لم يقتصروا على آية الإسراء الأولى فيما يتعلق بقداسة القدس ، بل جمعوا إلى هذه الآية التي لا خلاف على دلالتها آية قرآنية أخرى ، مثل الآية في قوله تعالى : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد :13) فقالوا إن السور المقصود ، وهو سور بيت المقدس الشرقي ، ومثل الآية الكريمة : ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ، فقالوا إن المقصود «بالساهرة» البقيع الموجود جانب الطور ، شمالي سور القدس اليوم ، ومثل الآية 36 من

●●●

سورة النور : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ ، فقالوا إن المقصود هو بيت المقدس ، وغير هذه من الآيات .

● وأما بالنسبة إلى الأحاديث التي تؤكد مكانة القدس في الإسلام ، فهي كثيرة جداً ، وقد ورد منها في كتب الفضائل ، موضوع هذه الدراسة ، عشرات الأحاديث ، وإذا كان ثمة اختلاف في الآراء حول مدى صحة هذه الأحاديث ، فلا خلاف على الإطلاق على حديث مجمع على صحته ، وقد ورد في كتب الصحاح ، وفي كل كتب فضائل القدس ، وجرت روايته بطريق مختلفة ، منها رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» - مسجد المدينة - . . وقد وصف ابن تيمية هذا الحديث بأنه ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ ، وأنه حديث مستفيض ، متلقى بالقبول ، أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول وتصديقه .

● ولم يغب عن مؤلفي كتب الفضائل أن الأحاديث التي تنسب إلى الرسول ﷺ في فضل القدس ، ليست كلها على مستوى واحد من الصحة والقبول ، فها هو شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد المقدسي ، صاحب كتاب «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» يقول في خاتمة كتابه ، مبيناً ما يمتاز به الكتاب عن كتب الفضائل الأخرى : «وصنف آخرون أيضاً في فضائل الشام وفضائل القدس ، وهذا المصنف بحمد الله تعالى مشتمل على الفصلين معاً (فضائل الشام وفضائل القدس) قد احتوى على الآيات الواردة في القرآن العظيم في فضلهما ، والأحاديث الواردة في ذلك : الصحيح ، والحسن ، والغريب ، والضعيف المحتمل ، والواهي التأليف والموضوع ، والآثار القوية والواهية» .

لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى بنص حديث رسول الله ﷺ

●●●

● والقدس كانت تعني لجيوش عمر بن الخطاب التي أرسلت لفتح الشام أكثر مما كانت تعنيه بلدان الشام الأخرى ، حتى قبل أن تفتح المدينة المقدسة بالفعل .

● أما القول بأن الخليفة الأموي ، عبد الملك بن مروان ، قد أراد أن يضفي على القدس طابع قداسة خاصة ببنائه قبة الصخرة ، أو مسجد الصخرة ، من أجل أن يتحول الناس في حجهم من مكة إلى القدس ، فقول مرفوض في إطار العقيدة الإسلامية ، وفي إطار النصوص الصحيحة المنقولة .

● والرجل الذي اعتمد عليه عبد الملك اعتماداً أساسياً في بناء مسجد الصخرة ، وهو رجاء بن حيوة ، كان من علماء المسلمين وكان صديقاً لعمر بن عبد العزيز ، الرجل الصالح ، ولم يكن هذا ليشارك أبداً في بناء يقصد به خديعة المسلمين وغشهم ، بأن يتحولوا إلى الحج إليه بدلاً من مكة .

رواية منع عبدالملك الناس من الحج إلى مكة إبان ثورة ابن الزبير رواية متهافتة منقوضة

● ومن البدهيات كذلك أن عبد الملك ما كان ليفكر مجرد التفكير في إحلال صخرة القدس محل مكة وهو ركن من أركان الإسلام المفروضة والمبينة في القرآن الكريم ، ولو أنه فعل ذلك لوصم بالكفر ولحل قتاله ، بل لأصبحت مجاهدته فرضاً واجباً على المسلمين وقد تنبه لهذه الأمور كلها كاتب غير مسلم هو جويتين كما هو واضح من المادة التي كتبها عن الخلفية التاريخية لبناء قبة الصخرة .

● وأما رواية منع عبد الملك الناس من الحج إلى مكة إبان ثورة ابن الزبير فهي رواية متهافتة منقوضة ، حتى في كتابة المؤرخ الذي كان أول من

●●●

أوردها وهو اليعقوبي وروايته تقول إنه منع الناس من الحج إلى مكة خشية أن يأخذهم ابن الزبير بالبيعة ، وأنه أقامه بذلك أيام بني أمية .

● ولكن اليعقوبي نفسه يقول بعد صفحتين فقط من إيراده هذه الرواية ، إنه في سنة 68هـ وقفت أربعة ألوية بعرفات : محمد بن الحنفية في أصحابه ، وابن الزبير في أصحابه ، ونجدة بن عامر الحروري ، ولواء بني أمية . ثم ينقل عن المساور بن هند قيس قوله : وتشعبوا شعباً ، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومعروف أن حكم الزبير في مكة امتد من عام 66 إلى عام 73 هـ وهو عام مقتله .

● بل إن اليعقوبي يورد بعد ذلك أن عبد الملك نفسه قد حج سنة 75 هـ مما يخالف روايته الأولى عن منع حكام الأمويين الناس من الحج أيام بني أمية . ويقول اليعقوبي وهو يتحدث عن حج عبدالملك في السنة المذكورة ، إنه بدأ بالمدينة ، ولما أراد الانصراف بعد الحج وقف على الكعبة وقال : «والله إني وددت أني لم أكن أحدثت فيها شيئاً ، وتركت ابن الزبير وما تقلد» فهو هنا إذن يشعر بالندم لأنه أباح لقائدة الحجاج أن يضرب الكعبة بالمجانيق خلال اعتصام عبد الله بن الزبير بها .

لا نشك في أن كره اليعقوبي الصريح لبني أمية، هو الذي دفعه إلى محاولة تشويه سمعتهم

● ويعدد لنا اليعقوبي نفسه بعد ذلك الذين أقاموا الحج للناس من رجال الأمويين خلال السنوات من 72 حتى 85 هـ ، ومنهم عبد الملك نفسه وابنه سليمان وأبان بن عثمان بن عفان والحجاج بن يوسف .

●●●

● ولا نشك في كره اليعقوبي الصريح لبني أمية ، هو الذي دفعه إلى محاولة تشويه سمعة الأمويين ولكنه لم يكن متحرزاً فيما أورده ، ولا

منسجماً مع نفسه في رواياته المتناقضة ؛ فاليعقوبي يقدم لنا في تاريخه قائمة برجال بني أمية الذين أقاموا الحج زمن الوليد ويحدثنا عن اهتمام خاص للوليد بن عبد الملك بمقدسات الحجاز في مكة والمدينة ، ومما يتناقض مع القول بأنه أراد أن يصرف الناس عن مدينتي الحجاز المقدستين إلى مدينة القدس في فلسطين ، فقد ذكر اليعقوبي أن الوليد كتب إلى عمر بن عبد العزيز الذي كان عامله على المدينة بأن يوسع مسجد الرسول ﷺ ، وأن يدخل فيها المنازل التي حولها ويدخل فيه حجرات أزواج النبي ، كما بعث إلى خالد بن عبد الله القسري واليه إذ ذاك على مكة ، بثلاثين ألف دينار ، فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة ، وعلى الأساطين التي داخلها ، وعلى الأركان والميزاب ، فكان أول من ذهّب البيت في الإسلام .

● ورواية اليعقوبي هذه ، تؤكدها رواية مؤرخ يعتبر من أقدم من أرخوا لمكة : وهو أبو الوليد محمد بن عبد الله - أو ابن عبد الكريم - بن أحمد الأزرقي ، فقد ذكر الأزرقي في كتابه «أخبار مكة » أن الوليد بن عبد الملك عمر المسجد الحرام وعمل عملاً محكماً .

اليعقوبي ناقض نفسه واعترف بأن الوليد ابن عبد الملك كان من عمار المسجد الحرام

وهذا دليل واضح على أن اليعقوبي ناقض نفسه واعترف بأن الوليد بن عبد الملك كان من عمار المسجد الحرام ، وبهذا تنتفي فرية تحويله الناس من حج بيت الله الحرام إلى القدس ، ومع ذلك ما يزال هناك من يعتمد أقوال المستشرقين واليهود للتقليل من قيمة القدس في الإسلام ، وإبعاد المسلمين عن نصرتها ، ولكن هيهات أن يصدق المسلمون مثل تلك الأباطيل (١) .

●●●

(١) للاستزادة : يراجع كتاب فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة د .محمود إبراهيم .